أفاق فكرية
اللغة الأمازيغية في الجزائر : الرهانات و التحولات
ص . ص 147-161
رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
البريد الالكتروني:
bahloulaounia@gmail.com

اللغة الأمازيغية في الجزائر : الرهانات و التحولات

- بهلول العونية، أد. جيلاني كوبيبي معاشو
- جامعة معسكر ، bahloulaounia@gmail.com
- جامعة معسكر، dkobibi@yahoo.fr

تاريخ الارسال : 2018/03/26 تاريخ القبول: 2018/06/06 تاريخ النشر : 2018/10/04

الملخص : تتمحور هذه الورقة البحثية حول طبيعة الرهانات و التحولات التي عرفتها اللغة الأمازيغية في الجزائر من لغة مقصية من المشهد الثقافي بعد الإستقلال إلى لغة وطنية تمثل النمط الهوياتي لفئة معتبرة من المجتمع الجزائري، الأمر الذي أضحى يشكل رهانا أساسيا للواقع السياسي و الثقافي للدولة الجزائرية، وما تأثير هذه التحولات على المنظومة التربوية إلا دليل على التحولات الإستراتيجية للدولة الجزائرية، رغم أن هاته اللغة لا زالت بدايات التأسيس لها ومع ذلك بلغت الصفة الوطنية و الرسمية .

الكلمات المفتاحية : اللغة الأمازيغية؛ الصراع؛ الهوية الأمازيغية ؛ المدرسة الجزائرية

Amazigh language in Algeria: Bets and transformations

Abstract : this paper focuses on the nature of the bets and transformations that the Amazigh language in Algeria has known, from an eliminated language from the cultural scene after independence to a national language that represents the identity of a distinct group of Algerian society, which has become a fundamental bet to the political and cultural actuality and fact of the Algerian state. On one hand and on the other hand, how these transformations affect the educational system, although this language is still getting in difficulties in the problem of its incorporation, however it has reached the status of national and official.

Keywords: Algerian school; conflict; Amazigh identity; Amazigh Language

ص . ص 147-161
رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
البريد الالكتروني:
bahloulaounia@gmail.com

المقدمة :

إن الحديث عن اللغة الأمازيغية في الجزائر يجعلنا نتطرق إليها باعتبارها نزعة إجتماعية تضمنتها إشكالية الهوية اللغوية و جعلت منها طرفا في بناء هوية جديدة مخالفة لتلك التي أرادت الدولة بناءها منذ الإستقلال، فلقد ساهمت القضية الأمازيغية فضلا عن اللغة العربية و اللغة الفرنسية في تشكيل معركة الهوية اللغوية في الجزائر بارتكازها على المرجعية التاريخية للغة الأمازيغية كلغة أصلية للمجتمع الجزائري و جعلها مرجعا أساسيا و مبررا مهما لبروزها إلى السطح و المطالبة بالإعتراف بها كمكون أساسي من مكونات الهوية الوطنية، الأمر الذي جعلها تشهد تحولات جذرية من لغة فئة محددة أثناء الفترة الاستعمارية إلى لغة مقصاة من المشهد الثقافي و التربوي في مرحلة الإستقلال ومن ثمة إلى حركة تطالب بالإعتراف بالذات الأمازيغية، و قد استطاعت في نهاية المطاف بلوغ المنزلة القانونية بتحولها إلى لغة وطنية و رسمية تتبناها مجموعة من مؤسسات الدولة، كالمؤسسة الإعلامية والتربوية خاصة، هذه الأخيرة التي أضحت المجال الوحيد لتجسيد مساعي أي مشروع هوياتي "المشروع الأمازيغي"، فالمدرسة بدون شك تتأثر بمجموعة التحولات والتناقضات الحاصلة، فهي تسعى دائما إثبات شرعية وجودها و تحقيق مبدأ المساواة و العدالة في المجتمع.

إننا نهدف من خلال هذا المقال إلى التطرق للحراك الثقافي و السياسي الذي مس اللغة الأمازيغية في الجزائر و بروزها كطرف آخر في الصراع الهوياتي و الذي أثر على النمط اللغوي الهوياتي للمنظومة التربوية التي لا طالما كانت مؤسسة مجبرة على استيعاب تمزق الواقع اللغوي الجزائري و إحتواءه.

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
البريد الالكتروني:
bahloulaounia@gmail.com

الواقع السوسيولساني في الجزائر :

من المعروف أن الواقع السوسيولساني للمجتمع الجزائري ينم عن وجود تنوع لغوي بارز بين فئاته الإجتماعية وهذا ما عبر عنه الباحث جمال غريد في كتابه "إستثناء الجزائر" مؤكدا على وجود مجتمعات مختلفة ثقافيا و متعايشة في المجتمع الواحد و تستند على مرجعيات نسقية مختلفة و التي منها ماهو حضاري إثني و منها ماهو استعماري و منها ما هو مرتبط بالتواجد الحضاري الديني ومنها ما هو ممارسات ناتجة عن الآليات السوسيولغوية كالمزج و الاحتكاك، ولكل منها تصوراتها ومجالات استعمالاتها.

و توصف مكونات الواقع اللساني الجزائري عند المهتمين و المختصين على النحو التالي :

1. " لغة عربية فصحى اقترنت بالقرآن الكريم و كانت في عهد الظلام الكولونيالي آلية دفاعية ضد الأجنبي المتسلط و من بين أسس الهوية العربية الإسلامية .
2. لغة فرنسية مستعملة على نطاق واسع بين النخبة و التكنوقراطية و بعض أسلاك الإدارة العمومية في كثير من مستوياتها و فئات من المثقفين و البورجوازية الناشئة .
3. لغة أمازيغية بعدة لهجات أقرب إلى العربية في قاموسها خصوصا ما يتعلق منها بالعبادات، إلا أن هناك جدلا في شأن الحرف الذي تكتب به.
4. لهجات دارجة منطوقة بفوارق بسيطة في اللهجات المحلية ترجع جذور أغلبها إلى العربية مع تسرب كلمات إليها و تعابير بالفرنسية ترتبط بالدرجة الأولى بألفاظ الحضارة "[1] . ومختلطة في بعض الأحيان مع بعض الكلمات التركية و الإسبانية الناتجة عن فترات استعمارية مر بها المجتمع الجزائري.

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
البريد الالكتروني:
bahloulaounia@gmail.com

فكلها فضاءات لغوية تربط بينها علاقات تنافسية و صراعية على مستوى النخب المثقفة والتي نشأت وهي تحمل في طياتها أزمتها الهوياتية، هذا من جهة و من جهة أخرى تحكمها علاقات تداخلية تتعايش من خلالها التنوعات اللغوية و تشكل ممارسات حقيقية مرتبطة أساسا بالمزج والاقتراض اللغوي ومظاهر الاحتكاك الألسني بوجه عام على المستوى السوسيولوجي و اللهجات الشعبية، الأمر الذي زاد من توسع الفجوة بين المجموعات اللغوية الشعبية و النخب المثقفة، هذه الأخيرة التي ظلت دائما تسعى إلى تحقيق ذاتها و إعادة إنتاج نفسها من خلال مؤسسات المجتمع منذ مرحلة الإستقلال والبدايات الأولى لبناء الدولة الوطنية وكأن التنوع اللغوي وضع تقسيما للمجالات الثقافية والسياسية و الإقتصادية، فكانت اللغة الفرنسية هي من تربع على عرش السلطة وهيمنت على الجانب الإقتصادي للبلاد، أمّا اللغة العربية فخُيِّرَتْ للجانب الثقافي والديني فيما بقيت الأمازيغية نمطا للهجة تتعلق خاصة بمناطق محددة، هذا التعدد الذي خلق عدة إشكالات أثرت على عملية التخطيط في النظام اللغوي الجزائري و خصوصا في مرحلة الانفتاح الديمقراطي الذي عرفته الدولة الجزائرية أين ازداد الجدل بكل مستوياته حول قضية اللغات ومكانتها و مجالات استعمالها.

الأمازيغية كطرف في معركة الهوية:

فضلا عن كينونة الصراع اللغوي التقليدي في الجزائر بين النخب المفرنسة و النخب المعربة الذي أضحت مظاهره تبرز في كل مرة في شكل أزمات تخنق المجتمع، برزت فئة ذات توجه لغوي مغاير ساهمت بشكل أو بآخر في تطعيم المسألة اللغوية و الزيادة من تعقيدها، فمسألة اللغات لم تحسم إلى يومنا هذا و لا زالت تشكل موضوع جدل و نقاش مزمن.

فالميزان الرمزي للقوى اللغوية المهيمنة يتراوح بين ترجيح الكفة للغة الفرنسية و اللغة العربية ثم يضع في كفتيه اللغة العربية باعتبارها معيارا مهيمنا في تضاد مباشر

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
البريد الالكتروني:
bahloulaounia@gmail.com

مع اللهجات الأمازيغية، فالتوجه العروبي الإسلامي و قضية الوحدة التي تبنتها الدولة الجزائرية بعد الإستقلال لعبت دورا كبيرا في البناء الوطني مقصية بذلك كل تنوع لغوي حيث بنت سياستها اللغوية انطلاقا من مبدأ العروبة مع استبعاد اللغة الأمازيغية من الخطاب السياسي و الممارسات المؤسساتية، هاته الخطوة التي كانت بمثابة التمهيد الذي سيحرك موازين القوى بين النخب المثقفة. حيث عبرت النخب الأمازيغية عن هذه السياسة بالقضاء على المكون اللغوي الأمازيغي واعتبرته رفض للتنوع داخل الوحدة و كرد فعل اتجاه التعريف الهوياتي المختار بعد الاستقلال حاولت الحركة الأمازيغية بناء ذاتها وإثبات وجودها، فتحولت من حركة مهتمة بالإرث الثقافي في السبعينات إلى تيار سياسي بامتياز وجد لنفسه تعبيرات ايديولوجية و ثقافية خاصة بنشوء نخب أمازيغية مثقفة ودخول الدولة الجزائرية مرحلة الانفتاح السياسي والديمقراطي الأمر الذي أتاح فرصة بروز مطالبها إلى العلن. فالحركة البربرية حاولت إثبات وجودها و تبيان تميزها من خلال إعادة تأهيل الثقافة و اللغة الأمازيغيتين و ترقيتهما مع إعطاء اللغة الأمازيغية الصفة الوطنية و الرسمية، وقد كانت هذه المحاولات مرتبطة بالمطالبة السلمية أحيانا و العنيفة أحيانا أخرى . و يرجع الكاتب الأمازيغي سالم شاكر أسباب بروز هذه المطالب و بلوغها هذه الدرجة إلى نمو الوعي الأمازيغي من الفضاء الجماعي و التقليدي الذي كان يستند على منظومة من المرجعيات التقليدية (الروابط القبلية) و كذلك الرمزية المتعالية على الإنقسامات كالزوايا و العلماء المحليين إلى بروز الوعي بالمرجعية الأساسية التي تحيل إلى تاريخانية الإنتماء الأمازيغي للجزائر كجزء من المغرب العربي الكبير الذي تمتد جذوره إلى ما قبل الإسلام، هذا الوعي الذي يرجع حسب الكاتب إلى حالة التثاقف الأمازيغي الكبير مع الثقافة الفرنسية "إذ أن منطقة القبائل هي التي تمتلك نخبة فرانكفونية كبيرة منذ بداية القرن العشرين أين كانت نسبة التمدرس كبيرة مقارنة بمناطق البلاد الأخرى كما أرجع الكاتب ذلك إلى قدم الممارسة السياسية ورسوخها عبر الهجرة الجماعية إلى فرنسا الأمر الذي أدى إلى تبلور الوعي."[2]

و في تحليل للعلاقة بين الفئة المعربة والفئة الأمازيغية التي أضحت تشهد بعض الصراعات الخفية و المعلنة تؤكد أغلب الدراسات التاريخية أن هذا الصراع لم يذكر في فترة ما قبل الإحتلال بل تتفق أن "الأمازيغ عربو أنفسهم"[3] فقد كان يجمعهم الرابط الديني الإسلامي، و يقول هشام جعيط في هذا الشأن "تفاعل المسلمون الأوائل مع البربر بسبب الجاذبية و الفاعلية للمقدس، لكن الأسلمة التدريجية و البطيئة لم يوافقها تعريب لغوي سريع " [4] ، فقد ترتب هذا الوضع عن تراكمات أنشأتها السياسة الإستعمارية التي نجحت في خلق نوع من الصدام بين الفئة العربية و الفئة الأمازيغية أثناء المرحلة الكولونيالية و يؤكد جاك بيرك "أن الدوائر الإستعمارية كانت تبذل جهودا مضنية لغرس العنف بين العرب و البربر في إطار سياسة الشقاق التي كانت تمارسها بغرض ضرب وحدة المجتمع ، كما أنها كانت أول من وضع فكرة العروبة في مواجهة فكرة البربرية و كانت تعمل على ترجيح إحداهما على الأخرى حسبما تقتضي مصلحتها"[5] و ذلك بتقديمها للغة العربية على أنها لغة غزت شمال افريقيا و أن الأمازيغية هي اللغة الأصلية للشعب الجزائري تاريخيا. الأمر الذي شكل النواة الأولى التي ستأزم الوضع اللغوي بعد الاستقلال بين الفئات المعربة و الفئات الأمازيغية والذي تمظهر في صراعات صامتة أحيانا و عنيفة أحيانا أخرى و قد تجلت مظاهر هذه الصراعات في محاولة تثبيت اللغة الأمازيغية و منع انتشار اللغة العربية أكثر على الأقل في المناطق الأمازيغية، هذه الأخيرة التي تجرد نفسها من العلاقة باللغة العربية من خلال منع الأجيال من ممارستها و تداولها، على اعتبار أن "عروبة وإسلام الجزائر هي معطيات تاريخية متأخرة و أنه يمكن اعتبار الأمازيغية اللغة الأصلية الوحيدة بالمغرب الكبير" [6] فيما تدافع الفئة المعربة عن هوية واحدة و هي الهوية العربية معتبرة الأمازيغية نزعة انفصالية خاصة لم تبلغ المجتمع العام وترتبط بالنخب الفرانكفونية و تهدد الوحدة الوطنية.

و قد لخص عز الدين المناصرة العلاقة بين الأمازيغ و المعربون في عدة تيارات :

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
البريد الالكتروني:
bahloulaounia@gmail.com

1. تيار عروبي ديمقراطي : يرى أن الأمازيغية هي أحد فروع الكنعانية و أن الأمازيغ هم عرب هاجرو من فلسطين إلى افريقيا بعد هزيمة جالوت الفلسطيني، و يمكن تدريس الأمازيغية كلغة ثقافية قديمة في الأقسام المتخصصة في الجامعات على أن تكتب باللغة العربية و عدم ربطها باللاتينية .
2. تيار عروبي دكتاتوري: يرفض خصوصية الفئة الأمازيغية انطلاقا من فكرة أنها تابعة بشكل قصري للثقافة الفرنسية .
3. تيار أمازيغي ديمقراطي: يؤمن بالإسلام و العروبة كعنصرين هامين من عناصر الشخصية البربرية و يقترحون هامشا من الحرية للتعبير عن الخصوصية الأمازيغية في إطار التعددية الثقافية.
4. تيار أمازيغي غرائزي : يؤمن بالنزعة الأمازيغية و بجعلها لغة موازية للغة العربية الرسمية باعتبار الأمازيغ هم أصحاب الأرض الأصليين و أن جذورهم مرتبطة باللغة اللاتينية .[7]

ثم إنه من الملاحظ أن الحركة الأمازيغية كهوية لغوية اختزلت نفسها في الجانب اللغوي فقط، فالمطلب اللغوي للحركة الأمازيغية يطغى على كل المطالب الأخرى مثل المطالبة بإدماجها في المؤسسات المدرسية و الإعلامية و كذلك المطالبة بالإعتراف بهذه اللغة كلغة وطنية ثم كلغة رسمية وهذا لحمايتها و ضمان بقائها باعتبارها المكون الهوياتي الوحيد و المركزي الذي يضمن الخصوصية البربرية بعد ذوبان العناصر الأخرى (الأرض مثلا) في سياسات التعريب والأسلمة التي شهدها شمال افريقيا قديما و انضمام الدولة الجزائرية إلى الوطن العربي.

فكل هاته التراكمات الثقافية و اللاتوازنات أثرت على السياسة اللغوية المتبناة منذ الاستقلال ويقصد هنا بالسياسة اللغوية مجموعة القوانين الرسمية التي تخطط للتهيئة اللغوية في مجتمعات متعددة اللغات فتجعل لكل منها مكانة معينة بقوة القانون و

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
البريد الالكتروني:
bahloulaounia@gmail.com

الدستور، وتكون مرتبطة بطبيعة اللغة في حد ذاتها و علاقتها بالمجتمع. فالدولة الجزائرية تحاول منذ الاستقلال تسيير الوضع من خلال تطبيق سياسة توفيقية بين أكثر من لغتين (عربية ، فرنسية ، أمازيغية)، الأمر الذي كان من شأنه أن يسحب السياسة اللغوية إلى جانبها الإيديولوجي و من ثمة إلى بلورة تخطيط لغوي غير قادر على إحتواء التحولات و التشنجات اللغوية "فعدم إجرائية الخطاطات لا تقوى على الإحاطة بواقع لغوي متقلب تتخله صراعات خفية أحيانا وظاهرة أحيانا أخرى " [8]، و هنا يمكن القول أن الإيديولوجيا على علاقة وطيدة باللغة بل الأكثر من ذلك يمكن أن تتحول اللغة في حد ذاتها إلى إيديولوجيا تتحكم في تسيير الشأن اللغوي و المشاريع التي تتبناها الدولة و المجتمع.

فالتخطيط اللغوي في الجزائر تسيره النخب المثقفة بعيدا عن تبني سياسة لغوية راشدة تأخذ في الحسبان المعطى اللغوي المتعدد و تعمل على احتوائه بواسطة برامج و خطط تتحقق من خلالها قيم المواطنة و احترام الهوية اللغوية. فإشكالية الهوية اللغوية لازالت تطفو إلى السطح الثقافي من حين لآخر و تبرز في شكل مطالب اجتماعية تهدف إلى إعادة ترتيب اللغات على المستوى الهوياتي و المؤسساتي.

اللغة الأمازيغية من التهميش إلى الإندماج :

في مستوى آخر من التحليل يستوجب علينا التطرق إلى طبيعة المقاومة الهوياتية للحركة الأمازيغية إذ يتفق أغلب الباحثين على أنها رد فعل ناتج عن الإقصاء الواضح من المشهد الثقافي و السياسي بعد الإستقلال، إذ يرى محمد برابح أن "الأمازيغ قد عانو نوعا من التجاهل و الإقصاء منذ السنوات الأولى للإستقلال و ذلك بإعلان أول رئيس للجزائر "أن الجزائريون كلهم عرب "[9] فيما يرى سالم شاكر أن " النصوص التوجيهية الكبرى كانت واضحة و متجانسة بخصوص الإحالة إلى ما هو أمازيغي، فهي تتجاهله و ترجع به إلى ماض انقضى و في أحسن الأحوال تضعه في المتحف حفاظا على الفنون و التقاليد الشعبية " [10].

و في البداية تبلورت هذه الحركة أثناء الاستعمار و كان أول تعبير لها هو الأزمة البربرية سنة 1949 إذ حاولت إدراج البعد الأمازيغي في الشخصية الجزائرية، لكنها أجلت ورضخت للواقع في بداية الأمر وذلك تحت لواء الحركة الوطنية وضرورة وحدتها لمحاربة الاستعمار و استرجاع السيادة الوطنية، لتظهر بشكل جلي بعد الإستقلال خصوصا وأن الانطلاقة الأولى للدولة المستقلة ركزت عملها على سياسة التعريب بشكل واسع مع استبعاد الخصوصية الأمازيغية " فالهيمنة التي تم إلحاقها بالتيار العروبي بكل أبعادها السياسية و التاريخية جعل الأمور تظهر بشكل مبالغ فيه، فكان ذكر الأمازيغية يرتبط بصياغة الاستعمار لها... الأمر الذي غذى القناعات التي تجعل من إقصاء كل ماهو أمازيغي واجبا وطنيا لابد منه " [(11)] هذا المنطلق الذي ظهر في شكل ممارسات فعلية تنكر هذا البعد بداية بإقصاءه من كل المراسيم و المواثيق التي شنتها الدولة بعد الإستقلال إلى غاية دستور 1996، كما شهد الأمازيغيون عدة مضايقات في بداية السبعينات" كتقليص الساعات الخاصة بها و حذف الدروس التي كان يقدمها مولود معمري في جامعة الجزائر و كذا مضايقة قنوات البث الإذاعي القبائلية "[(12)] و القمع الذي مورس على بعض النشطاء الأمازيغين سنوات 1975 و 1976 بل عاشت هذه الفئة نوعا آخرا من الرفض و الإقصاء الرمزي نتيجة زحف العملية التعريبية كما ذكرنا سابقا، وقد شمل استبدال كل ماهو مكتوب باللغة الأمازيغية و تحويله إلى اللغة العربية في إطار توحيد اللغة على المستوى الوطني " كتوحيد لغة كتابة اللافتات و اللوحات الإشهارية و الإشارات المرورية إضافة إلى رفض موظفي بلديات المناطق التي يسكنونها تسجيل مواليدهم بأسماء أمازيغية طيلة سنوات السبعينات "[(13)]. كل هذه التراكمات والاحتقانات جعلت من الحركة الأمازيغية تطرح نفسها بقوة على الساحة السياسية و الثقافية و قد تجسدت في ممارسات فعلية تمثلت في الإحتجاجات و المطالب المتكررة بالإعتراف الرسمي باللغة الرسمية طيلة فترة الثمانينات و التسعينات بلغت ذروتها في الربيع الأمازيغي 1980 وما تلته من احتجاجات كمواجهات 1998 و الأحداث ما بين 2001 و 2002 وكذا مواجهات

الربيع الأسود 2011 الأمر الذي كشف عن عمق و خطورة الأزمة التي عاشتها المنطقة، إذ أن الحركة الاجتماعية (الربيع الأمازيغي 1980) تعتبر أكبر الاحتجاجات الثقافية عنفا و مثلت حراكا شعبيا واسعا فقد استطاعت أن تشمل منطقة بأكملها فلم تقتصر على فئة معينة بل تميزت بالتكامل بين النزعة الشعبية ذات الخطاب القومي التي برزت في الأوساط الشعبية و التيار المثقف الذي تمحورت نشاطاته حول التخطيط اللغوي و الإدراج في المنظومة التربوية "فقد كشف الربيع الأمازيغي بوجه خاص عن اللقاء الحاصل بين المثقفين و الطبقة الشعبية القبائلية و أن ماقامت به يتجاوب فعلا مع تطلع شعبي واقعي و أن عمل هذه المجموعات كان له بعد ذلك أثر عميق على المجتمع القبائلي " [(14)]، كما أخذ المطلب البربري المنحى السياسي في إطار هيكلي تبلور في برامج الأحزاب السياسية و الحركات الجمعوية مثل التجمع من أجل الثقافة و الديمقراطية و حزب جبهة القوى الاشتراكية و الحركات الثقافية البربرية كانت كلها تهدف إلى نفس الغرض، وفعلا استطاعت الحركة البربرية بلوغ أهدافها على المستويين الثقافي و السياسي فقد تعززت مطالبها بالإعتراف الرسمي بها كلغة وطنية سنة 2002 و لغة رسمية سنة 2016 أين تم إعادة مفهوم الهوية الوطنية الجزائرية بإضفاء البعد الأمازيغي كمكون لغوي آخر يسعى إلى تطوير مبادئه و ترسيخها على المستوى المؤسساتي و الممارساتي، فالاعتراف الدستوري باللغة الأمازيغية كلغة وطنية هو قرار سياسي ناتج عن تصور جديد للهوية فقد أعاد تعريفها من خلال إثبات فكرة التنوع في إطار الوحدة الوطنية.

أما على المستوى التربوي فإن عدم الاستجابة لمطلب إدماج الأمازيغية في المدرسة الجزائرية جعلها تصل إلى مقاطعة الدراسة و تنفيذ سنة بيضاء في الموسم الدراسي (1995 - 1996) في منطقة القبائل إلى غاية إدراجها في سنة 1995 و أصبحت تدرس في المناطق القبائلية بعد أن كان تدريسها مقتصرا على اللغة و الثقافة الأمازيغية في بعض

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
البريد الالكتروني:
bahloulaounia@gmail.com

الأقسام المتخصصة في الجامعات كجامعة تيزي وزو و جامعة بجاية سنوات 1990-1991.

ولقد كانت اتجاهات المجتمع نحو تدريسها مختلفة باختلاف النمط اللغوي الممارس في كل منطقة، فيؤكد رابح كحلوش أن " هناك تمركز شديد لدراسة و تعلم اللغة في المناطق القبائلية بلغت نسبته 86.53 ٪ في سنة 1996/1995 ، و اهتمام ضعيف بها في باقي المناطق" [15] و هنا تبرز تمثلات أفراد المجتمع للغة الأمازيغية فالفئة الأولى تعتبرها اللغة الأصلية و يستوجب تدريسها و تطويرها عكس الفئة الثانية التي فيها لهجات شعبية خاصة بجهة محددة.

ففي إطار العلاقة الوثيقة بين الهوية و الثقافة واللغة و المدرسة تبرز هنا بشكل جلي علاقة أزمة الهوية اللغوية بالمنظومة التربوية ككيان اجتماعي و مؤسساتي غير محايد عن تحولات المجتمع فيسعى كل مشروع لغوي إلى تجسيد و إعادة إنتاج نفسه من خلال المدرسة وهذا ما سيكون له التأثير المباشر على النمط اللغوي الذي تتبناه هذه الأخيرة و من ثمة على البرامج و المناهج المنتهجة أو بالأحرى على مخرجات السياسة التعليمية ككل، إذ تبقى في مجملها سياسة توفيقية تتأرجح بين البيداغوجي و الإيديولوجي.

اللغة الأمازيغية بين الدسترة و المأسسة :

تعد اللغة الأمازيغية اللغة الأصلية لجزء كبير من المجتمع الجزائري إذ تعد من أقدم اللغات التي عرفها الشمال الإفريقي و هي مجموعة من اللهجات البربرية التي تعتبر امتدادا للتنوعات البربرية القديمة التي عرفها المغرب العربي، المتميزة بالتنوع اللهجي (القبائلية ، الشاوية ،الميزابية ،الترقية) لكنها بقيت محصورة في المستوى الشفهي فهي من اللغات التي لم يسعفها التاريخ في أن تكون من اللغات المكتوبة، رغم ذلك استطاعت

الحركة الأمازيغية إعادة تعريف الهوية الوطنية في شكلها الرسمي إذ أصبح ينص الدستور الجزائري على أن :" اللغة الأمازيغية هي كذلك لغة وطنية و رسمية، تعمل الدولة على ترقيتها و تطويرها بكل تنوعاتها اللسانية المستعملة على التراب الوطني " (التعديل الدستوري مارس 2016). و قد تجسد ذلك في منح اللغة الأمازيغية المكانة الثقافية كجزء من الإرث الثقافي و العمل على تطويرها و ترقيتها تحت إشراف المحافظة السامية للغة الأمازيغية.

فبعد دسترها أخذت طريقها إلى المأسسة في المؤسسات الإجتماعية لكن بصفة متباطئة وجهوية و متمركزة في المناطق الناطقة بها التي تعتبرها اللغة الأم و هذا ما أعاد بروز الأزمة من جديد حيث طالبت النخب المثقفة الأمازيغية بالإسراع في تجسيد الإعتراف الدستوري و تفعيله في مختلف الميادين و المجالات على المستوى الوطني، إلا أن هذه الأخيرة لاقت أمامها إشكالية المأسسة أو التدوين على اعتبار أن التيفيناغ لغة منطوقة لم يتعدى مستواها الطابع الشفوي، إذ تتفق أغلب الدراسات التاريخية على أنه لم يكن للأمازيغية حرف موحد للكتابة مما جعلها لغة ناقصة وظيفيا في مستواها الكتابي " فاللغة لا تخلقها القوانين، بل تخلقها قوة الاستعمال و قوة النصوص، كما أن سيرورتها و تحفيزها للاضطلاع بالوظائف هو الذي يضمن لها التعبيرية الوظيفية " (16) مما جعلها محل أطماع المشاريع الهوياتية الأخرى و هذا ما سماه الكاتب صالح بلعيد "بالمشكلة" (17) فقد أخذت المسألة موضع التردد و الأخذ و العطاء نظرا للصراع التقليدي بين العربية و الفرنسية و أيهما لها الأولوية في استقطاب اللغة الأمازيغية خصوصا في ظل الصعوبة التي تلقتها كتابتها بخط التيفيناغ فقد انقسمت الطروحات في هذا الشأن إلى ثلاثة أقسام الأول يدعو إلى كتابتها بالحرف التيفناغي حيث يرى أصحاب هذا التوجه أن "التيفيناغ هي الهوية الحضارية للغة و الشخصية الذاتية للشعب وأن مسألة الهوية الوطنية تفرض هذا لأن اللغة خطاب فكري قبل أن تكون وسيلة " (18) و يجب تحويلها من

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
البريد الالكتروني:
bahloulaounia@gmail.com

لهجات منطوقة إلى لغة مدونة قادرة على تحليل الأشكال الثقافية و السوسيولوجية المتعددة، أما الثاني فيدعو إلى كتابتها باللغة الفرنسية و حجته في ذلك أن هاته اللغة لها الأولوية العلمية و العالمية و ذات توجه حضاري متقدم كما أن الخط اللاتيني يعتبر الخط الذي كتبت به الكثير من المصادر و المراجع المتعلقة بالأمازيغية و يرى أصحاب هذا الإتجاه أن العربية لغة متخلفة غير قادرة على إحتواء اللغة الأمازيغية، فيما يدعو القسم الثالث إلى كتابتها بالحرف العربي على إعتبار أن " الحروف العربية أكثر التصاقا من حيث المخارج بالأصوات الأمازيغية " [19] فضلا عن المرجعية الدينية الإسلامية للفئة الأمازيغية التي تستوجب استعمال اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن الكريم. وهذا بدوره ما أثر على المدرسة الجزائرية كمؤسسة منوطة بترسيخ المبادئ الهوياتية للدولة و المجتمع إذ تعتبر مجالا لتفعيل أي تغير لغوي أو هوياتي، فاللغة هي المصدر الأساسي و الأول لامتلاك المعرفة و التحكم بها و إعادة انتاجها وهذا ما ترجم فعليا في كتب اللغة الأمازيغية إذ تظهر فيها ثلاثة أقسام مدونة بثلاثة أنواع من الخطوط تتمثل في الخط العربي، التيفيناغي و اللاتيني، فإضافة إلى العربية و الفرنسية كلغتين أساستين في المدرسة تهدف الدولة من ترسيم الأمازيغية في المدرسة الجزائرية كلغة وطنية إلى الوصول بالمتعلمين إلى فهم هاته اللغة و القدرة على قرائتها و كتابتها و التعبير بها و من ثمة إلى ممارستها و بالتالي تحصيل الثقافة و الهوية الأمازيغية، فيرمي برنامج تعليم اللغة الأمازيغية في المرحلة المتوسطة مثلا إلى جعل المتعلم من خلال التعلم و ممارسة اللغة قادرا على التثقيف الذاتي و التشبع بالثقافة الخاصة بالتراث الأمازيغي "[20].

ومن الملاحظ أن تعليم الأمازيغية ذو طابع اختياري يرجع قرار دراستها إلى أسرة المتعلم في حد ذاته مما سيزيد من تمركزها و تقوقعها على نفسها في المناطق الخاصة بها، ضف إلى ذلك أن المضامين التربوية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالثقافة الأمازيغية من آداب و فنون و قصص شعبية[21] تهدف إلى ربط المتعلم بالهوية البربرية في طابعها

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
البريد الالكتروني:
bahloulaounia@gmail.com

التقليدي الأصلي و تؤسس لكل ما هو محلي خاص بالمجتمع القبائلي، و هذا ما يجعلها تخضع إلى ذاتية الشخصية الأمازيغية التراثية مما سينقص من موضوعية تدريسها كلغة أساسية تساهم في تطوير الثقافة الوطنية الأمر الذي يتناقض مع أهداف تعليم اللغات في المنظومة التربوية التي تسعى إلى الوصول بالمتعلم إلى التحكم في أبجدياتها و القدرة على تحقيق الإنتاج العلمي من خلالها.

الخاتمة :

إن مسألة الهوية اللغوية في الجزائر تظهر في كل مرة بوجه جديد و مختلف راجع لاختلاف المرجعيات الثقافية المتواجدة في الحقل اللساني الجزائري ، فقد أصبح النزاع حول المسألة اللغوية مفتوحا خرج إلى العلن، و أصبح ورقة سياسية يستخدمها هؤلاء للضغط و الهيمنة على الأطراف الأخرى، لتبرز في كل مرة المقاومة الهوياتية للجهة المهيمن عليها و تساهم في إعادة ترتيب مكونات هذا الحقل، فقد ظهرت هذه المرة المرجعية الأمازيغية التي حاولت إثبات شرعيتها التاريخية و فرض نفسها على أكثر من مستوى باستعمال آليات ووسائل تضمن لها الشرعية الاجتماعية و الثقافية وفقا لسياسات مبنية على فكرة التنوع في إطار الوحدة، و تعد المدرسة من أهم تلك الوسائل التي تضمن تثبيت اللغة و إعادة انتاجها في المجتمع، هذه الأخيرة التي أصبحت مراحل سيرورتها التاريخية تسير وفقا لإيديولوجيا الطرف المهيمن في كل مرحلة بين وجهة تعريبية تارة ووجهة فرانكفونية تارة و أمازيغية تارة أخرى و ما تتميز به من علاقات متعايشة أحيانا و متناقضة أحيانا أخرى. مما جعلها غير قادرة على احتواء هذه الانقسامات التي أصبح يحياها المجتمع الراهن الباحث دوما عن ذاته و عن التوفيق بين الأصالة و الغيرية و الوطنية، و أمام هذه المعطيات يمكن القول أن المسألة الأمازيغية زادت من حدة الأزمة اللغوية التي لازالت منذ الاستقلال بين أخذ و رد لتطفو في كل مرة إلى سطح حاملة في طياتها متغيرات جديدة و مؤثرة في النظام الاجتماعي ككل.

الإحالات و الهوامش :

1 - محمد العربي ولد خليفة، "اللغة و الهوية و التعددية اللسانية"، منبر حوار الافكار ، العدد 17 ،2006 ص 10.

2 - Salem chaker, « les berbères dans le Maghreb contemporain entre tentions et évolutions » , afkar/ideés ,hiver, 2005, p 42.

3 – العربي عقون، "الأمازيغ عبر التاريخ، نظرة موجزة في الأصول و الهوية"، التنوخي للنشر و التوزيع،الرباط ، 2010 ،ص47.

4 – هشام جعيط، أزمة الثقافة الاسلامية ، دار الطليعة الاسلامية ، بيروت ،2001 ،ص 181.

5 – نوال حمادوش ،"السلوك اللغوي و الهوياتي في المجتمعات المغاربية"، دار الأيام ، الأردن ،2015 ،157.

6 – أحمد عزوز، "العدالة اللغوية في المجتمع المغاربي"، المركز العربي العربية للأبحاث و دراسة السياسات، بيروت ، 2014، ص 79.

7 – عز الدين المناصرة ،"المسألة الأمازيغية في الجزائر و المغرب"،دار الشروق، عمان، 1999 ،ص 9.

8 – خولة طالب الابراهيمي، "الجزائريون و المسألة اللغوية"، تر : محمد يحياتن، دار الحكمة ، الجزائر، 2007، ص13.

9 - Mohamed benrabah « lange et pouvoir en algérie : histoire d'un traumatisme linguistique » , séguier édition , paris, 1990,p 26.

10 - سالم شاكر، "الامازيغيون اليوم"،تر: عبد الله رارو ، سحب من الموقع الاكتروني :

https://fr.scribd.com/document/13072221 **يوم :2018/02/22 على الساعة 9:30**

11 - نوال حمادوش، المرجع نفسه، ص 162.

12 - سالم شاكر، المرجع نفسه، ص41.

13 - نوال حمادوش، المرجع نفسه، ص 162.

14 – سالم شاكر، المرجع نفسه، ص51.

15 – نوال حمادوش، المرجع نفسه، ص 251.

16 – أحمد عزوز، المرجع نفسه،ص 87.

17 – صالح بلعيد، "في الهوية الوطنية"، دار الأمل ، الجزائر،2007، ص71.

18 – صالح بلعيد، المرجع نفسه،ص80 .

19 – صالح بلعيد، المرجع نفسه ، ص 91.

20 – مهني زهوة، الكتاب المدرسي المدرسي في اللغة الأمازيغية بالمدرسة الجزائرية، مذكرة ماجيستير في علوم التربية، جامعة الجزائر2010 ،ص97.

21 – مهني زهوة، المرجع نفسه،ص 99.